تحليل نص الـمَشْرَفي

النص مأخوذ من كتاب " الحُلَلُ البهيّة في ملوك الدولة العلويّة وعَدِّ بعض مفاخرها غير المتناهية " لمحمد بن مصطفى الـمَشرَفي ، المتوفَّ سنة 1916م .عاصر الكاتب السلطان الحسن الأول ، وأهداه هذا الكتاب . وُلد بالجزائر وعاش فيها وفي المغرب وتوفي بفاس .

- توضيح بعض مفردات النص :

+ الحَيْرة : - تبَلُّدٌ في الأمر وتردّد فيه .

+ الكآبة : - تغيُّر النفْس بالانكسار مِن شِدة الهمّ والحُزن .

+ الـهَمّ :- تَوقُّع الشرّ في المستقبل .

+ الحُزن : - التألُّم للشّرّ الماضي والفائت .

+ مناقِب : - جَمعُ نَقِيبة وهي السَّجِيَّة والطبيعة والعقل ونَفاذُ الرأي .

+ عاقِبة : - عاقبة كلِّ شيءٍ آخرُه أي نتيجتُه .

+ يَقين : - " اليقينُ مِن صفة العلم فوقَ المعرفة والدِّرايَة وأخواتها ، يُقال : عِلمُ يقينٍ ، وهو سُكونُ الفَهم مع ثَباتِ الحُكْم ."[1]

يتسم هذا النص بسمتين هما :

1- الوصف : وصفُ ما نَزَل بالسلطان الحسن الأول بتأثير من السفير الإنجليزي الذي أحوال السلطان إلى الأسوء ، بحيث نزلتْ به الحيْرة والكآبة ، بفعل إنذارات السفير وتهديداته .

2- السرد : ويتمثل في قصته مع السفير الإنجليزي .

[1]- الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن ، دار المعرفة ، بيروت، ط1 ، 1418هـ - 1998م ، ص 553.

وبالنظر إلى كونه سرداً فهو قصة متكاملة العناصر تتضمن شخصيات وأحداثاً وزماناً ومكاناً وعلاقات وسرداً ووصفاً وحواراً غير مباشر (أي حواراً مسروداً) ، بالإضافة إلى ذلك نجد عقدة للقصة وحلّاً لها .

القصة هنا تقوم بدور تفصيلي لـمُجمَل ما ورد في مقدمة النص . فالقصة تُفسّر مضمون المقدمة خاصة ما يتعلق بالحَيْرة والكآبة وأسبابهما المتمثلة في إنذار السفير الإنجليزي للسلطان الحسن الأول وتهديداتِه .

- الأحداث :

+ مطلب السفير الإنجليزي .

+ تهديدات السفير للسلطان .

+ التجاء السلطان إلى الله .

+ موت السفير .

- دوافع الأحداث :

+ دافع مطلب السفير عدواني واستعماري.

+ دافع تهديدات السفير يكمن في رغبته في سرعة إذعان السلطان لمطلبه .

+ التجاء السلطان إلى الله دافعُه إيمانه بأن الله يُجيبُ الـمُضطَرَّ إذا دعاه .

+ دافع موت السفير إرهاق شديد أصابَه بنوبة قلبية .

- الشخصيات في هذه القصة هي :

1- السلطان الحسن الأول .

2- السفير الإنجليزي .

3- أهل الفضل والديانة والأمناء ..

4- منادي السلطان .

5- المؤذّن .

أهم شخصية في النص هي شخصية الحَسن الأول الذي وُصِفَ بالسلطان وبالمولى الحسن وبالإمام ، وهي صفات تدل على الحُكم والسلطة والشرَف والإمامة (السلطة الشرعية والدينية) .

ووُصفَ بالنظر إلى أحداث القصة بأنه مُضطَرّ . ولـمّا أيقن باضطراره التجأ إلى مولاه ليقينه أنه سبحانه سيستجيب دعاءه ، ويكشفُ ما به من غمّ وهمّ لقوله سبحانه :" أَمَّنْ يُجيبُ الـمُضطَرَّ إذا دعاهُ ويَكشِفُ السوءَ ويجعلكم خلفاء الأرض ." ، وقوله تعالى :" ومَن يتوكَّلْ على الله فهو حَسْبُه ."

والذي ألجأه إلى مولاه هو تديُّنُه وصلاحُه ، ودليل ذلك صيامُه التطوُّعي واستعانته بالصالحين من المسلمين وبالتوجّه إلى الله بالدعاء .

السفير الإنجليزي هو الشخصية الثانية في النص . لا يُقدِّم السارد أيّ وصف مباشر عنه ، ولكن نستطيع أن نستشفَّ من خلال أفعاله ما يَشِي ببعض صفاته .

نجد في بداية النص إشارة إلى حزم السفير وصلابته في قوله وقراراته ، بحيث لم يُراعِ مَن يخاطبُه ولم يهتمَّ بصفته وموقعه في بلده وبين أفراد شعبه ، فجاء مُهدِّداً متوَعِّداً . والظاهر أنه اخْتيرَ مِن قِبَل سلطات بلاده ليقوم بهذه المهمة لاتسامه بالصفات المذكورة . ثم إنه لـمّا قام بمهمة الإبلاغ المرفوق بالتهديد والوعيد ترك السلطان يتجرَّعُ مرارة ذلك في انتظار الاستجابة الكليّة لمطلبه ، وراح يُرَفِّه عن نفسه بالقنص ، وهي هواية الـمُترَفين . فمقابِل تهديد الآخرين وإيلامِهم نجده يُرَفِّه عن نفسه ويمتعها.

أهل الفضل والديانة والأمناء وغيرهم شخصية جماعية في النص الجامعُ بينها الصلاح والاستقامة، لذلك اخْتيروا مِن قِبَل السلطان للقيام بمهمة الالتجاء إلى الله بالدعاء حتى يرفع عنهم هذا البلاء .

منادي السلطان شخصية وسيطة بين السلطان وبين مَن توسَّم فيهم الخير من العلماء والصالحين والأمناء . فهو الشخصية التي تدعو إلى تفعيل ما ارتآه السلطان وسيلة ناجعة للخروج من الأزمة التي أوقعهم فيها السفير الإنجليزي .

المؤذن في هذا النص يقوم بدور آخر غير دوره الرئيس وهو الأذان للصلاة . إنه يقوم بدور البشير وبدور **الشخصية الإخبارية** . إنه الذي أخبر الناس بموت السفير .

الشخص الذي كان يُخبر بالموت في المغرب في الماضي يُخبِر به مَن يعرف الميّت ليحضر جنازته ويدعوَ له ويتألّم لفقده ويتّعِظَ بموته . ولكن الإخبار بالموت في هذا النص ليس الهدفُ منه إثارة الحزن والشفقة في النفس ، وإنما الهدفُ منه الفرحُ والسرور . وقد تولّى هذه المهمة في النص مؤذّن وليس شخصاً ممتهناً لهذه المهنة الإخباريّة لكونه صيِّتاً وذا صوت قويّ وجهوريّ وحَسَن . ثم إن الأمرَ (خَبر الموت) غير عاديّ ؛ إنه موت عدوّ مهدّد ومتوعّد ، إنه موت انكشفتْ به غُمّةٌ عن المغاربة وسلطانهم . لذا فالأمرُ ذو خصوصية احتيج معه إلى مؤذّن صيّت وليس إلى شخص عاديّ مِن ممتهني مهنة الإخبار .

الملاحظ أن المنادي الذي نادى في أهل الفضل وغيرهم شخْصٌ آخر غير المؤذّن الذي أعلن نتيجة التوجّه إلى الله بالدعاء ؛ وهي استجابتُه سبحانه وكشفُه للغُمّة التي نزلت بالسلطان .

نتيجة الإخبار بموت السفير الإنجليزي الذي أعلنه المؤذّن هو فَرَح الكُلّ حاكمين ومحكومين بذلك.

وقبل ذلك عندنا النداءُ الذي قام به المنادي كانت نتيجته التعبئة الشاملة مِن قِبَل لمَن وُجِّه إليهم النداء وهم أهل الديانة والفضل ... ثم إنّ القيام **بمضمون النداء** كانت نتيجته حدوث **مضمون الخبر** وهو موت السفير **ونتيجة مضمون الخبر** هو فرحُ الجميع بذلك .

ولكنّ هذه النتيجة ستكون عكسيّة بالنسبة لدولة السفير وأقربائه ؛ وهي الحزنُ والأسى والأسف لعدم تحقق رغبتهم في حينها ؛ وهي إخضاعُ المغرب لسيطرتهم السياسية والاقتصادية .

ومِن ثَمّ فنتيجة الخَبر والإخبار تختلفُ باختلاف متلقّي الخَبر ؛ فما يَسُرُّ البعضَ يُؤلِمُ البعضَ الآخَر . وغالباً ما يكون اختلاف نتيجة الإخبار مرتبطاً بالاختلاف العَقَدي .